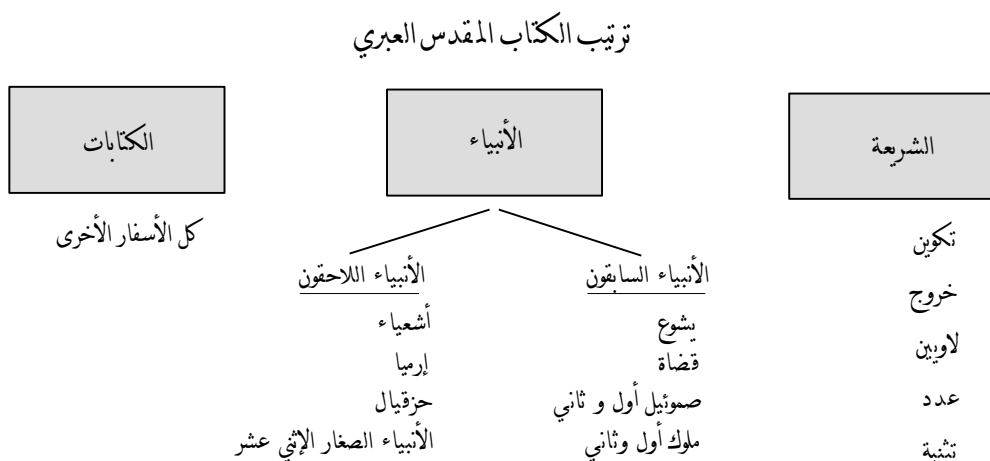


## الدرس الرابع والعشرون

## النظرية التثنوية

## 1. مقدمة

ينقسم الكتاب المقدس العبري إلى ثلاثة أقسام رئيسية: الشريعة، والأنبياء، والكتابات. وينقسم "الأنبياء" إلى قسمين: الأنبياء السابقين والأنبياء اللاحقين. ويشمل الأنبياء السابقون أسفار يشوع، وقضاة، وسموئيل الأول والثاني، وملوك الأول والثاني (على الرغم من أن سفري سموئيل كانا في الأصل سفرًا واحدًا في الكتاب المقدس العبري، كما هو الحال في سفري الملوك).



على الرغم من أن هذه الأسفار الستة تدعى "الأنبياء"، فإننا غالباً ما نفكر فيها باعتبارها أسفاراً تاريخية. غير أن الاسم "الأنبياء" يذكرنا بأنها كانت لاهوتية في طبيعتها أكثر منها تحليلية. وفي حقيقة الأمر، لاحظ باحثو العهد القديم أن هذه الأسفار الستة، مع سفر التثنية، تعكس نظرة ثابتة موحدة لتاريخ إسرائيل. وعلى الرغم من أنها كُتبت على يد عدة كتّاب، إلا أنها تبدو في الظاهر رواية تاريخية كتبها كاتب واحد. أي أن مواضيع كثيرة تطرح في سفر التثنية تطوّر وتوسّع عبر المادة الموجودة في يشوع وحتى سفر الملوك. ويشمل هذا من بين أمور كثيرة اللعنات التدرّجية على إسرائيل بسبب عدم وفائها للعهد الذي يؤدي إلى غزو أجنبي ونفي من أرض الموعد.

يمكن أن يقال إن أسفار يشوع - ملوك تعكس جانباً تحقيقياً لسفر التثنية. ويصف سفر التثنية مستقبل إسرائيل في الأرض بشكل دقيق جداً (يظهر بعد ذلك في أسفار يشوع - ملوك) حتى أن الباحثين استتجوا أن سفر التثنية ليس نبوياً (كُتب قبل دخول الأرض الموعودة)، بل إن كل مادة تثنية - ملوك سجل لما سبق أن حدث.

أما الباحثون المحافظون فيبتنون فكرة أن موسى هو كاتب سفر الشريعة من خلال الوحي الإلهي (تثنية 1: 1، 5؛ 31: 9، 24-26؛ 32: 44)، وأن يشوع - ملوك سجل أمين لتطبيق هذه التوقعات. غير أن الباحثين الانتقادين يبتنون فكرة أن كل هذه المادة كُتبت (أو أُعيدت كتابتها) قبل وقت قصير من السبي البابلي أو أثناءه على يد محررين.<sup>1</sup> وهم يشيرون بشكل عام إلى هذا المحرر المفترض باسم "المؤرخ التثنوي" (Deuteronomic Historian). وقد شاعت هذه النظرية كثيراً في الأبحاث الحالية بحيث يتوجب على الدارس الإنجيلي للكتاب المقدس (الذي يؤمن بوحي الكتاب المقدس وعصمته) أن يدرك وجود هذا المنحى والافتراضات المسبقة الخطرة التي يتركز عليها. "فالنظرية التثنوية" لا تنكر كتابة موسى للسفر فحسب، لكنها مبنية أيضاً على نهج معارض للطبيعة الحارقة لكتابة الأسفار (أي أنها تنكر أن الله يمكن أن ينبيء بمستقبل إسرائيل وعدم وفائها للعهد، وأن يخبر به سلفاً).

## 2. العلاقة مع تحليل مصادر العهد القديم

نسب شارحو الفرضية الوثيقية (انظر الملاحظات حول "تحليل مصادر العهد القديم") سفر التثنية إلى تاريخ متأخر، عادةً إلى عهد يوشيا (حكم 640-609 ق م). وغالباً ما يرتبط هذا باكتشاف "الشريعة" في زمن يوشيا. إذ حدث أثناء عملية إصلاح الهيكل أمر بها يوشيا أن عُثر على نسخة من "الشريعة". تقول لنا 2 ملوك 22: 8: "فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب: 'قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب' ". وتتابع الآية العاشرة: "وأخبر شافان الكاتب الملك قائلاً: 'قد أعطاني الكاتب حلقيا سفراً'. وقرأه شافان أمام الملك. " وقد أدى هذا الاكتشاف إلى تسريع جهود الإصلاح التي سبق أن بدأها الملك.

يقول الباحثون التقديون إن السفر الذي وجد في زمن يوشيا كان سفر التثنية (على الرغم من أنهم ينكرون أن موسى هو الذي كتبه أو حتى أنه كُتب في وقت مبكر من تاريخ إسرائيل).<sup>2</sup> فعلى سبيل المثال كان لهاوسن:

<sup>1</sup> كان المحرر (Redactor) شخصاً يعيد كتابة وثائق سابقة. ولم يكن شخصاً يقوم بتحرير ثانوي أو وضع لمسات بسيطة قبل النشر، بل كان شخصاً يأخذ وحدات أدبية من أجيال سابقة، ويفسرها من منظوره التاريخي، ويعيد توليفها بطريقة تجعلها ذات صلة بجيله (أي أنه يعصرتها).

<sup>2</sup> Otto Eissfeldt, *The Old Testament An Introduction*, Trans. Peter R. Ackroyd from the 3<sup>rd</sup> German ed. (NY: Harper & Row, 1965), 220. Bernard W-Anderson, *Understanding the Old Testament*, 4<sup>th</sup> ed. (NJ: Prentice-Hall, 1986), 375.

مقتنعاً أن إصلاحات يوشيا أطلقها قادة دينيون معاصرون قاموا بتأليف "سفر الشريعة" ودفنه في الهيكل من أجل تعزيز إصلاحاتهم. ويُفترض أن السفر "اكتشف". وبما أنه اتُحِلَّ للسفر تاريخ من زمن موسى، فقد أعطى تأييداً قوياً للإصلاحات.<sup>3</sup>

حسب هذه النظرية، كُتِبَ سفر التثنية في زمن يوشيا، لكنه جُعِلَ يبدو وكأن موسى هو كاتبه من أجل إعطائه سلطة.<sup>4</sup> وهكذا فإن سفر التثنية والكتابات التاريخية المرتبطة به هي في واقع الأمر نتاج أدبي تم تأليفه من أجل تعزيز حركة الإصلاح في زمن يوشيا. وتفترض هذه النظرية أن كتابة هذا السفر مدفوعة بأسباب سياسية ولاهوتية، ألا وهي إعطاء مزيد من السلطة والتأييد للكهنة ولمركزية العبادة الدينية في أورشليم. يقول آندرسون، ممثلاً هذا الرأي:

على الرغم من أن كاتب هذا السفر مجهول الهوية، كما هو الحال مع معظم كتابات العهد القديم، فإن نسبته للخطاب لموسى ليست خرافة أدبية كاملة. فسفر التثنية في جوهره إحياء للتعليم الموسوي كما فهم في القرن السابع ق م. ومن المؤكد أنه لم يحتو على الكلمات الفعلية الحرفية التي نطق بها موسى؛ لكن الجو هو جو الإيمان الموسوي، على الرغم من أنه مشحون بالأفكار الدينية والأخلاقية للحركة النبوية. والتوراة التثنوية، مثلها في ذلك مثل الأنبياء أنفسهم، لا تدعي أنها تعود لإسرائيل إلى الأمام إلى مرتفعات جديدة من التطور الديني، لكنها تذكر الشعب بالإيمان الأصلي للفترة الموسوية. فهذا برنامج إصلاح، لا ابتداء. ومن هنا كان أمراً لاثقاً أن ينسب الخطاب إلى موسى.<sup>5</sup>

بعد أن صار سفر التثنية منفصلاً عن الأسفار الخمسة، بدأ الباحثون يلاحظون أوجه الشبه بينه وبين يشوع - الملوك، وبدأوا يتكلمون عن "التاريخ التثوي". وربما يجدر بنا أن نطلق تسميتين مختلفتين هنا: "التاريخ التثوي" (Deuteronomic) و"التاريخ التثوي التأثير" (Deuteronomistic).<sup>6</sup>

تثوي - تشير هذه الصفة إلى المادة الموجودة في قلب سفر التثنية (تثنية 5-28).

<sup>3</sup>William S. La Sor, et al., *Old Testament Survey* (Grand Rapids: William B. Eerdmans Pub. Co., 1982), 177.

<sup>4</sup>على الرغم من أن هؤلاء الباحثين الانتقاديين يعتبرون سفر التثنية نتاجاً لزمن يوشيا، إلا أن بعضهم يؤمن أن لواء سفر التثنية (خاصة تثنية 12-26، 28) تاريخاً طويلاً وراءها.

<sup>5</sup>Anderson, 379.

<sup>6</sup>Anderson, 183. غير أنه يتوجب علينا أن نلاحظ أن هذه التعابير لا تطبق دائماً بنفس الطريقة. إذ يستخدم بولنغ، على سبيل المثال، تعبير "تثوي" للإشارة إلى عمل تاريخي يعود

إلى القرن السابع يحتوي على القسم الأكبر من سفر التثنية إلى آخر ملوك الثاني. ويستخدم تعبير "المادة التثوية التأثير" للإشارة إلى عملية تحديث مفترضة في القرن السادس للطبعة النهائية. (Robert G. Boiling, *Judges*, The Anchor Bible [Garden City: Doubleday & Company, Inc., 1975], 31).

تثنوي التآثر - تشير إلى الكتابات التي يُفترض أنها تأثرت بالتوراة التثنوية، والتي تشكل التاريخ التثنوي التآثر الممتد من سفر يشوع إلى ملوك الثاني.

ركّز الباحثون الانتقاديون حتى الجزء الأول من القرن العشرين على مهمة محاولة تحليل المصادر المختلفة خلف النص (كما فعلوا مع بقية الأسفار الخمسة).<sup>7</sup> غير أن الدراسات النقدية شهدت نقلة في التركيز في ما يتعلق بسفر التثنية والأسفار التاريخية. وبدون التخلي عن فكرة المصادر، بدأ الباحثون الانتقاديون ينظرون إلى هذه المادة من منظور مختلف، أي كوحداث أدبية مستقلة نسجها معاً محرر أو عدّة محررين كانت في أذهانهم أجندة (خطة) لاهوتية مقررة سلفاً. ففي عام 1943 دافع الباحث الألماني مارتن نوث عن هذه النظرية بشكل مفصل.<sup>8</sup> وقال إن تثنية - ملوك كُتبت كعمل موحد أثناء فترة السبي، وسماها "التاريخ التثنوي التآثر". وقد رأى نوث أن هدف تلك المادة هو أن تبين كيف ظهر لاهوت التثنية في تاريخ إسرائيل، وعلى نحو خاص كيف لعبت هذه المادة دور بيان دفاع عن الله كُتب ليقدّم عرضاً لأسباب لاهوتية لسقوط محرر المملكة الشمالية وأورشليم ويهوذا.

وليس مفاجئاً أن تكون هنالك نظريات متنوعة حول زمن كتابة التاريخ التثنوي التآثر وكيفية ذلك، وما إذا كان هنالك منقح واحد أو عدّة محررين. غير أنه تمّ التخلي عن رأي نوث في أن مؤرخاً واحداً هو الذي كتب كل هذا العمل الأدبي. لكن يوجد اتفاق عام بين الباحثين النقيدين أن دستور سفر التثنية (خاصة توكيده على مقدس مركزي) كان أساس إصلاحات يوشيا. ويشرح هيتز سبب هذه الإصلاحات:

<sup>7</sup> انظر مثلاً SR. Driver, An Introduction to the Literature of the Old Testament, rev. ed. (NY: Charles Scribner's Sons, 1912).

<sup>8</sup> Martin Noth, The Deuteronomistic History (reprint; Sheffield, England: JSOT, 1981). انظر نوث وقاش حول التاريخ التثني في ما

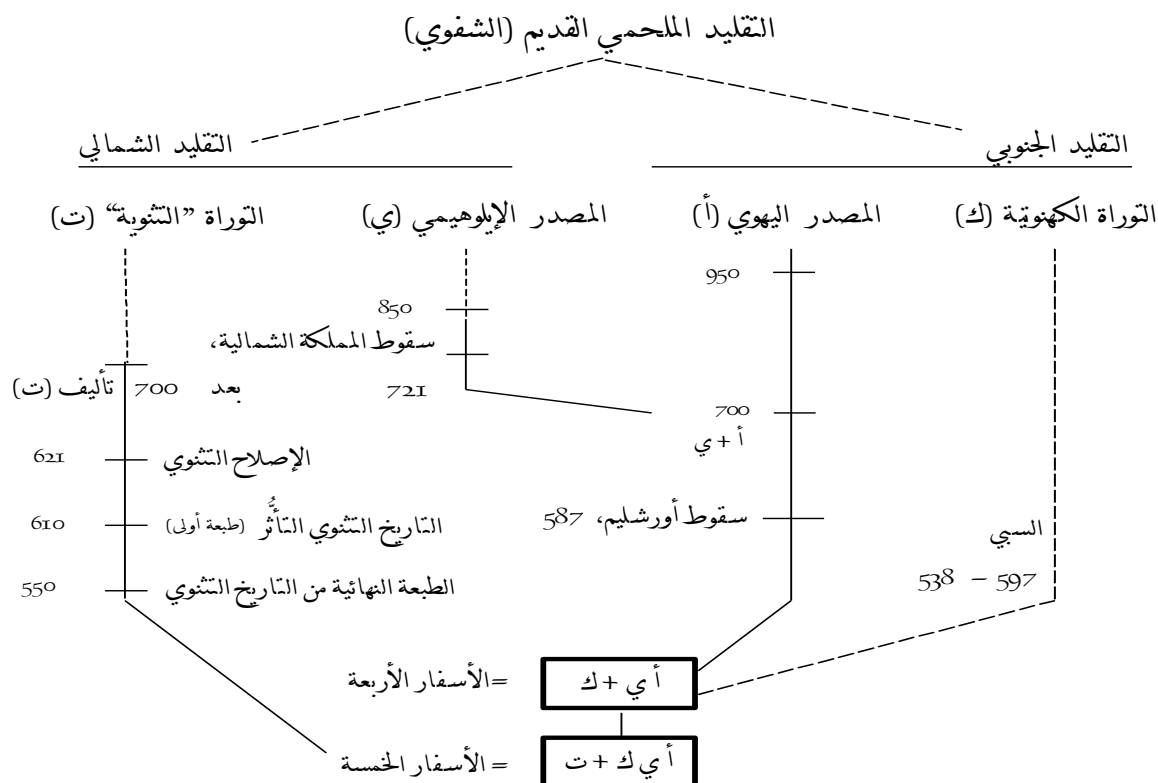
يتعلق بسفري صموئيل، انظر Geoffrey W. Bromiley, ed., ISBE (Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans Pub. Co., 1979-1988), s.v. "Samuel, Books of," by Ralph W. Klein, [See especially section V on Redactional History, 4: 316-318].

بما أنه يبدو أن سفر التثنية (خاصةً الأصحاحات 12، 14، 16) يحدد كل العبادة في مكان واحد، وبما أن الممارسة الفعلية منذ زمن القضاة إلى يوشيا كانت موزعة في أماكن عدة، فلا بد أن سفر التثنية كُتب في زمن يوشيا من أجل المصادقة على تقليد جديد وإعطاء سلطة لإصلاحات يوشيا.<sup>9</sup>

ومن هنا يتحدثون عن الإصلاحات التثنوية. ثم يقولون بناء على ذلك إن مؤرخين (كانوا مقتنعين بالأسباب اللاهوتية للإصلاح التثنوي بشكل جاد) ألفوا تاريخاً لإسرائيل تثنوي التأثير "شاملاً من زمن موسى إلى سقوط الأئمة الأخير (أي تثنية - ملوك).<sup>10</sup> وهم يقولون بشكل عام إن التحرير الأخير تم في حوالي 550 ق م. وفي هذه الطبعة النهائية، تم توسيع "التاريخ التثنوي التأثير" وتحديثه ليشمل الدمار والترحيل، على الرغم من أنه ينتهي بنغمة ذات رجاء بملاحظة إطلاق سراح الملك الداودي يهوياكين من سجنه في بابل. ويُعزى زوال ملك يهوذا بشكل رئيسي إلى حكم الملك منسى الشرير من النصف الأول للقرن السابع ق م. وفيما يلي نظرية آندرسون (ص 435):

<sup>9</sup> Homer Heater, Jr., "A Theology of Samuel and Kings," in *Biblical Theology of the Old Testament*, ed. Roy B. Zuck (Chicago: Moody Press, 1981), 125.

<sup>10</sup> Anderson, 376.



تمثل الخطوط المنقططة في الجدول السابق التقليد الشفوي، بينما تمثل الخطوط المتصلة انتقال التقليد بشكل مكتوب. لنلاحظ أن كل التقاليد تشكل تطورات متوازية من الفترة القديمة، على الرغم من أن كل واحد منها كان موضوعاً لتطور خاص في الدائرة الذي حفظته. وقد كانت هذه التقاليد، مثلها في ذلك مثل عدة جداول تصب في نهر واحد، مرتبطة وموحدة معاً في تقليد كهنوتي، مشكلة بذلك الأسفار الخمسة.

### 3. سمات نظرية "التاريخ التنبوي التأثر"

إن أكثر سمات هذه الأسفار شيوعاً هي النظرة التنبؤية للتاريخ التي يرتبط فيها السبب والمسبب ببركات العهد ولعناته. يقدم والتون هنا ملخصاً مفيداً:

يشترك التاريخ التثنوي التآثر مع سفر التثنية في منظور واحد للتاريخ واللاهوت إذ يُنظر إلى تاريخ إسرائيل من حيث ولائها للعهد. فطاعة الشريعة والإيمان بالرب يجلبان البركات وازدهار العهد (تثنية 28)، بينما يجلب العصيان والارتداد اللعنات المذكورة هناك. ومن بين أوجه الشبه في الأسلوب الاعتماد على صيغ وتعايير معينة (مثل "عمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب" في سفر القضاة؛ و"ساروا في طرق يربعام" بصفقتها التهمة المشتركة للملك الشمال في سفر الملوك) والاستخدام البلاغي للخطابة من أجل تلخيص نقاط اتصال هامة (انظر تثنية 4؛ يشوع 23؛ قضاة 2: 11-23؛ 1 صموئيل 2؛ 2 صموئيل 7؛ 1 ملوك 8؛ 2 ملوك 17: 7-23).<sup>11</sup>

وبالإضافة إلى عقيدة عدم وفاء إسرائيل للعهد، توجد مواضيع أخرى في سفر التثنية لها أهميتها في هذه النظرية وتشمل:

- 1) مركزية نظام العبادة (تثنية 12: 5، 10-11؛ انظر 16: 16-17)
- 2) تعيين ملك من الله (تثنية 17: 14-15)
- 3) إزالة الأنبياء الكاذبة (تثنية 13: 3، 5؛ انظر تثنية 18)
- 4) رفع الكهنة اللاويين (تثنية 18: 1-2)
- 5) الإنباء بأنبياء يتكلمون عن الله (تثنية 18: 15، 18-19)

إن ميل التاريخ التثنوي التآثر ضمن ملوك الأول والثاني هو تقويم كل ملك من حيث وفائه للعهد. ويجري تقويم الملوك الشماليين بمقارنتهم بـ يربعام (أول ملك شمالي). أما بالنسبة للملوك الجنوبيين، فيجري تقويمهم بمقارنتهم بـ داود (الذي قطع الله معه العهد الداودي). وعند كل نقطة يحاول الكاتب / المحرر أن يرسم خريطة مسار إسرائيل مستقبلاً. يقول والتون:

يعتقد أن طبعة السبي المزعومة أكثر اهتماماً بتطوير موضوع الخطبة والعقاب. وسعياً لجواب عن السؤال الذي وجهه المسييون "أين أخطأنا؟" فإنه يقال لهم إن الأمور سارت سيراً خاطئاً منذ البداية، وقد استمر هذا النمط عبر التاريخ الطويل للحكم الملكي.

<sup>11</sup> Andrew E. Hill and John H. Walton, *A Survey of the Old Testament* (Grand Rapids: Zondervan Pub. House, 1991), 156.

وقد أكد الوجود الدائم للكلمة النبوية للملوك أثناء هذه الفترة أن الرب أعطى تنبيهات وإنذارات كافية، وأنه أتاحت لهم فرصة كافية للاستجابة. وتم إثبات صبر الله وأمانته للعهد بشكل كامل. يمكننا أن نرى إذاً أن رسالة هذه الأسفار ارتبط بشكل وثيق بالعهد.<sup>12</sup>

#### 4. تقويم

توجد صلة حيوية بين سفر التثنية والرواية التاريخية ليشوع-ملوك، وقد حاول الباحثون الانتقاديون بطرق ما بنظرية "المؤرخ التثنوي التأثير" أن يروا هذا الأمر بوضوح أكبر. وينطبق هذا بشكل خاص على تطبيقات تثنوية 28-29، التي تعلن فيها لعنات استجابة لعدم الوفاء للعهد. وإن ذروة اللعنات التي يمكن أن تصيب الأمة هي السبي من الأرض.

لا شك أن كاتب سفر التثنية يكتب عن ذهاب الأمة إلى السبي، لكن كيف كان له أن يعرف ذلك؟ يجب الباحثون الانتقاديون بأن شخصاً يعيش في زمن السبي هو فقط القادر على معرفة أن هذا هو مصير الأمة، وبالتالي أن يكتب عنه. غير أن الباحثين الإنجيليين المحافظين يؤمنون بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله الموحى بها. ولهذا كان في مقدور الله (الذي يستطيع أن يرى مستقبل الأمة) أن يكتب من خلال موسى في عام 1406 ق م أن الأمة ستذهب إلى السبي في نهاية المطاف. ومن هنا فقد سبق أن أخبر عن هذا الأمر بشكل نبوي! غير أن الباحثين الانتقاديين ينكرون ذلك، ويؤكدون أن هذه المادة (بما فيها سفر التثنية) كُتبت بعد حدوثها، في التحرير النهائي على الأقل. ويجب علينا أن نجري عملية تقويم حذرة لهذه النظرية.

1. تعاني نظرية المؤرخ التثنوي التأثير من مشكلة الافتراض المسبق الأولي، فهي تتناول الكتاب المقدس من وجهة نظر نابعة من الفلسفة الإنسانية، التي تنكر مشروعية النبوة الحارقة للطبيعة. وهي تفترض أن الله (الذي لا يحدّه النظام الطبيعي لهذا الكون) لم يكشف بشكل خارق جوانب عن المستقبل لكتاب الكتاب المقدس من البشر. ومن هنا فإن هذه النظرية معادية للعنصر الحارق في كتابة الأسفار.

2. تنكر هذه النظرية أن موسى هو كاتب سفر التثنية، على الرغم من التصريحات المباشرة التي تنسبه إلى موسى (تثنية 1: 1، 5؛ 31، 9، 24-26؛ 32: 44).

<sup>12</sup> المرجع السابق.



3. تُغفل هذه النظرية النظر إلى الأدلة الجوهرية على أن سفر التثنية مشابه من حيث سماته بصيغ المعاهدات الحثية في الألفية الثانية قبل الميلاد، وهي ملاحظة تجعل من غير المحتمل جداً أن سفر التثنية تطوّر من خلال التحرير في القرون 6-8 ق م.<sup>13</sup>

4. تؤدي هذه النظرية إلى التشكيك في اللاهوت الذي يحتويه سفر التثنية. يقول أندرسون مثلاً:  
 إن إحدى أكبر عيوب لاهوت المادة التثنوية التأثير هو أنها بلغت في تبسيط طرق الله في التاريخ. فالعقيدة المتضمنة في هذه الأسفار عن العدالة الإلهية تجعل الأمور واضحة ومحددة أكثر مما يجب: أطيعوا وستسير كل الأمور سيراً حسناً؛ اعصوا، وستأتي المشقات. وربما فهمت النسخة الأصلية من سفر التثنية هذه الحقيقة على نحو أعمق، لكن حين عاجلها الكاتب الذي ترك لنا المادة التثنوية التأثير، فإنها صارت تبدو، بشكل يدعو إلى الشك، مثل "فلسفة النجاح" التي صارت حتى في يومنا هذا أساساً لكثير من التدين الشائع.<sup>14</sup>  
 لكن من هو الإنسان لكي يشكك في كلمة الله ولاهوتها؟

5. يدّعي معتقدو هذه النظرية أنه حتى سفر القضاة تعرّض للتحرير النهائي في فترة السبي، لكن هذا أمر مستبعد في ضوء الأدلة الداخلية للسفر. فعلى سبيل المثال، تقرأ في قضاة 1: 21 "فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في اورشليم إلى هذا اليوم." ولا بدّ أن يعكس هذا زمناً سابقاً لغزو داود لأورشليم (حوالي 1004 ق م). انظر 2 صموئيل 5: 6-7. وتوحي أيضاً الإشارة إلى الكنعانيين في جازر إلى تاريخ سابق للزمن الذي أعطى فيه المصريون تلك المدينة إلى زوجة سليمان المصرية كهديّة زواج (انظر 1 ملوك 9: 16).

<sup>13</sup> انظر G. E. Mendenhall, *Law and Covenant in Israel and the Ancient Near East* (Pittsburgh: Biblical Colloquium, 1955); M.G. Klein, *Treaty of the Great King* (Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans, 1963); and K.A Kitchen, *Ancient Orient and Old Testament* (Chicago: InterVarsity, 1966) 90-102.

<sup>14</sup> B.W. Anderson, 385.

6. حسب نظرية المؤرخ التثنوي التآثر، كان الإصلاح التثنوي التآثر الذي حصل في زمن يوشيا وبعده مرتبطاً جداً بمركزية العبادة الدينية في اورشليم. ولهذا فإننا نتوقع أن يحافظ على هذه النظرة عبر أسفار يشوع - ملوك. غير أنه لا يوجد في سفر القضاة أي تلميح إلى استنكار وجود المذابح المحلية، على الرغم من وجود مجال كبير لذلك. ويوضح سيجال أن سفر التثنية لا يصرّ على أن العبادة يمكن أن تقام في مكان واحد فقط، لكنه يصرّ على أن المكان يجب أن يكون قد أجازته الله كمكان مقدس لعبادة يهوه.<sup>15</sup>

## 5. خلاصة

إن نظرية المؤرخ التثنوي التآثر نظرية يروّج لها أشخاص لا يؤمنون بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله الموحى بها. وهي تنكر التنبؤ بأحداث مستقبلية، وهي لهذا تسلب الله مجده. يقدم لنا الكتاب المقدس حقيقة أن الله يعرف المستقبل، وأنه كان قادراً على أن يكشفه مقدماً للكتاب البشريين للأسفار المقدسة (بما في ذلك سبي الأمة قبل مئات السنوات من حدوثه). يجب أن يكون المرء على إطلاع على هذا التعليم حيث إن كثيراً من الأبحاث المتعلقة بالعهد القديم تفترض هذه النظرية. ويجب أن يحذر المرء من التصديق الساذج لهذه النظرية الزائفة.

<sup>15</sup> Moses H. Segal, The Pentateuch (Jerusalem: Magness Press, 1967), 87-88.